كتاب النهار 2024-02-02 | 00:00

لوحة عماد فخري تشقّ دروبها بثقة بين متانة الرسم وتمرّد اللون في "غاليري آرت أون 56"

عقل العويط المصدر: "النهار"

لوحة لعماد فخري

يقيم عماد فخري معرضه التشكيلي الفردي الثاني ابتداء من 2 شباط في "غاليري آرت أون 56"، بعد مشاركاتٍ جمّة في معارض مختلفة. هو يشقّ مستقبله الفنّي بمهنيّةٍ مدروسة، وبخطى واعية ورصينة، لكنّ واثقة وثابتة، عارفًا، من خلال غوصه على تاريخ الفنّ، وعلى التجارب المحلّيّة والعالميّة، ماضيًا وحاضرًا، أنّ طريق الارتقاء شاقٌّ وطويل، ويتطلّب البحث الدؤوب والاجتهاد والمكابدة والتؤدة والاختبار والانفتاح، مثلما يتطلّب الجرأة والمغامرة والمخاطرة.

قرأتُ لوحات معرضه هذا، فتكشّف لي أنّه يُخضِع موضوعاته لقواعد البناء الصارمة ولشروط الرسم الواقعي، لجهة تشكيل الناس والوضعيّات والأبعاد والطاولات والأمكنة والكلاب. وهذا من شأنه أن يغوي، في أحد المعاني، بالتكرار والمراوحة. لكن الرسّام، إذ يدرك هذا الخطر ومحاذيره، يكرّس اللون عنصرًا فاعلًا في مجانبة الواقعيّة الأكاديميّة وفي الانفصال عنها، رغبةً منه في التحرّر وفي الخروج عن القواعد، وفي الانتماء إلى الحداثة، باعتبار أن هذا اللون هو مظهر من مظاهر هذه الحداثة، ومفتاح للتعبير الفردي والشخصي.

وإذ تتمتّع الأعمال على العموم بسمةٍ أكيدة هي المتانة، إلّا أنّها ليست كلّها على وتيرةٍ ونبرةٍ واحدة، فلا هي كلّها أكاديميّة، بل حيناً متمرّدة، وحينًا ذات عنفٍ لونيّ، وحينًا ثالثًا على مجازفة، وبعضها القليل يلامس التجريد الحرّ ويتخلّص من عبء التصويريّة. فالرسّام متضلّعٌ من الأصول والقواعد التشكيليّة، والنسب، والأبعاد، والألوان، وكيفيّات خلطها وتهجينها وترويجها واستخراج ألوان متخلّقة ومضافة. هذا التضلّع يمنحه القدرة على تلمّس جسد القماشة، وعلى التقاط أحاسيسها، ورغباتها، وأشواقها، مثلما يمنحه القدرة على فهم العلاقات بين المساحات والأبعاد والضربات والألوان، ويتيح لفرشاته التجوّل فوق السطح بقوّةٍ واقعيّة، وتعبيريّة، واضحة، ولا سيّما وهو يرسم شخصيّات اللوحة، متنشقًا حالات الوجوه والأيدي والنظرات والحركات والإيقاعات، قابضًا عليها بأريحيّةٍ مهنيّة.

اجتماع الناس في لوحاته هو اجتماعٌ حميمٌ، خلّاق، حارّ، ممتلئ لغةً، وصامتٌ، في الآن نفسه. وهذه ميزةٌ تجعل "أبطاله" يتخاطبون ويتحاورون وهم مبحرون في فرديّاتهم وحزّياتهم وأحوالهم الداخليّة والنفسيّة. هذا البعد "العائليّ" يمنح لوحاته دفئًا مضافًا، يضاعفه أنّ كلًّا من هؤلاء "الأبطال" مقيمٌ في أعماق عقله الباطن وأحلامه. إنّها لميزةٌ واقعيّة – تعبيريّة - تشخيصيّة لافتة تتّصف بها هذه الأعمال، وهي مفتوحة على احتمالاتها الجمّة، وتأويلاتها الكثيفة. فإذا ثابر رسّامنا على البحث والحفر والتنقيب والمراودة في هذا الباب، فهو واصلٌ، ولا بدّ، إلى طبقاتٍ، ومراتب، وأحوالٍ، من التعبير التشكيليّ، ومن التشخيص، بما يجعله قادرًا على التجرّؤ، بعد أبحاثٍ واختبارات، طارقًا أبواب التجريب بهدف صوغ لوحةٍ ذات أسلوبٍ شخصيّةٍ وخاصّة، مكتفيةٍ بالإيجازات والإيماءات والإشارات، ومتملّصةٍ من المؤثّرات والتفاصيل.